

تفسير ابن كثير

وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ ^ط وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ

(وما وجدنا لأكثرهم) أي : لأكثر الأمم الماضية (من عهد وإن وجدنا أكثرهم

لفاسقين) أي : ولقد وجدنا أكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة والامتثال . والعهد الذي

أخذه عليهم هو ما جبلهم عليه وفطرهم عليه ، وأخذ عليهم في الأصلاب أنه ربهم

ومليكهم ، وأنه لا إله إلا هو ، فأقروا بذلك ، وشهدوا على أنفسهم به ، فخالفوه وتركوه

وراء ظهورهم ، وعبدوا مع الله غيره بلا دليل ولا حجة ، لا من عقل ولا شرع ، وفي

الفطر السليمة خلاف ذلك ، وجاءت الرسل الكرام من أولهم إلى آخرهم بالنهي عن ذلك

، كما جاء في صحيح مسلم يقول الله تعالى : " إني خلقت عبادي حنفاء ، فجاءتهم

الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحلت لهم " . وفي الصحيحين : " كل

مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه " الحديث . وقال تعالى في

كتابه العزيز : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) [

الأنبياء : 25] وقال تعالى : (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون

الرحمن آلهة يعبدون) [الزخرف : 45] وقال تعالى : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن

اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) [النحل : 36] إلى غير ذلك من الآيات . وقد قيل في

تفسير قوله تعالى : (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) ما روى أبو جعفر الرازي ، عن

الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب في قوله : (فما كانوا ليؤمنوا بما

كذبوا من قبل) قال : كان في علمه تعالى يوم أقرؤا له بالميثاق ، أي : فما كانوا ليؤمنوا

لعلم الله منهم ذلك ، وكذا قال الربيع بن أنس ، واختاره ابن جرير . وقال السدي : (فما

كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) قال : ذلك يوم أخذ منهم الميثاق فآمنوا كرها . وقال

مجاهد في قوله : (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) هذا كقوله : (ولو ردوا لعادوا

لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) [الأنعام : 28]